الفصل الثاني

فلسطين عبر التاريخ ودعاوى اليهود الكاذبة والحركة الصهيونية

obeikandl.com

obeikandl.com

فلسطين عبر التاريخ ..
ودعاوى اليهود الكاذبة

ركز الصهاينة زعم حقهم فى فلسطين على:

أولا ـ « حقهم التاريخى »

ثانيا ـ « العهد الإلهى » الذى يزعمون أن السماء قد أعطته لهم، كحجتين رئيسيتين أقاموا عليهما « حقهم الطبيعى » فى إنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين العربية.

وسوف نبرهن بالوقائع التاريخية والمعطيات العلمية أن اليهود الذين اغتصبوا فلسطين بحد السلاح وبالتواطئ مع الاستعمار ليس لهم أى حق تاريخى فى فلسطين العربية، وأن «العهد الإلهى» لا يعدو أن يكون أسطورة اختلقوها لأنفسهم.

ذكرنا فى فصل سابق من هذه الدراسة نبذة موجزة عن ماهية الصهيونية وبعض أهدافها، وقبل أن نبحث الظروف والملابسات التاريخية التى حبك فى جوها الصهاينة مؤامراتهم لاغتصاب فلسطين، لابد من إلقاء نظرة فاحصة على التقلبات التاريخية التى مرت بها فلسطين عبر مختلف العصور، حتى تتضح لنا على ضوئها القيمة الحقيقية للإدعاءات التى استظهرت بها الصهيونية لتبرر بها أمام رجال الحكم والسياسة ... وأمام الرأى العام بصورة عامة، كل الجرائم التى ارتكبها لكى تتمكن من اغتصاب أرض فلسطين وتقيم عليها دولة إسرائيل على حساب شعبها العربى من مسلمين ومسيحيين.. وعلى حساب كل القيم الإنسانية وكل المعطيات التاريخية والقانونية (١).

(١) هذه فلسطين ـ حسين التركى

فلسطين أرض بنى كنعان

يجمع المؤرخون على أن الكنعانيين هم أول من عرفهم التاريخ سكاناً لأرض فلسطين التى كانت تعرف بأرض كنعان، والتى يعتبرها المؤرخون والجغرافيون على أنها: « الجسر الطبيعى بين آسيا وإفريقيا وان أول من سكنها هم قبائل جاءت إليها من شبه الجزيرة العربية من ستة آلاف سنة خلت ».

.ودافيد بن غريون نفسه يشهد بذلك حين يفسر ماهية الصهيونية شارحاً المصدرين العميقين اللذين تستمد منهما هذه الحركة المتعصبة وجودها وفلسفتها السياسية فيقول شارحاً المصدر الأول: « .. هذا المصدر هو الوعد الإلهى والأمل بالعودة ويرجع هذا الوعد إلى قصة اليهودى الأول الذى أبلغته السماء أن سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أراضى بنى كنعان ملكاً خالداً لك ».

فالأرض إذاً هى أرض بنى كنعان من قبل أن يولد سيدنا إبراهيم عليه السلام ومن قبل أن يبعثه الله نبياً.. أى منذ ٤٠٠٠ سنة تقريباً حيث إن المؤرخين يرجعون تاريخ ميلاده إلى حوالى ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح عليه السلام.

النبى موسى يتخلى عن قيادة الأسباط اليهود

ومن جهة أخرى فإن جميع المؤرخين ـ بما فى ذلك اليهود منهم ـ يتفقون على أن هجرة الأسباط الاثنى عشرة التى هاجرت من مصر بقيادة النبى موسى عليه السلام كانت حوالى ١٤٤٠ قبل الميلاد.. وإن احتلال بعض من أجزاء فلسطين من طرف هؤلاء اليهود الذين تخلى عن قيادتهم النبى موسى لاتخاذهم العجل وعتوهم عن أمر ربهم والذين قادهم من بعده يوشع Josoe إلى « أرض الميعاد ».. إن ذلك وقع فى سنة ١٠٠ قبل الميلاد.

كما يجمع المؤرخون على أن « أرض كنعان » أصبحت تسمى فلسطين عندما احتل الفلسطينيون جزءا كبيراً من أراضيها الممتدة بين يافا وغزة على أثر سقوط دولة كريت وتحطيم أسطولها البحرى فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

أول ملك يهودى على أرض فلسطين [1]

ويثبت التاريخ أن الضغط المسلط على أسباط اليهود من قبل الفلسطينيين حمل القبائل اليهودية على توحيد صفوفهم وانتخابهم لساوول Saoul أول ملك لهم. وكان ذلك سنة ١٠٥٠ قبل الميلاد... وهى أول ظاهرة تاريخية يظهر فيها اليهود على شكل مجموعة شبه منظمة على أرض فلسطين..

ويقول التاريخ إنه لم تمض أربعون سنة أى فى سنة ١٠١٠ قبل الميلاد حتى هزم الفلسطينيون ساوول وقتلوه فى معركة طاحنة، وسقط بذلك الملك اليهودى الأول..

النبى داوود يتزعم قيادة اليهود

ثم تزعم النبى داوود الشعب اليهودى واسترجع الأرض التى سقطت بأيدى أعداء ساوول وكون دولة يهودا التى ورث الحكم عليها من بعده ابنه سليمان. ويثبت التاريخ أن حكم داوود وابنه سليمان لم يدم سوى ٨٠ سنة متتالية. وهى الفترة التى يجمع كل المؤرخين على أنها الفترة الوحيدة التى يمكن القول بأن اليهود حكموا فيها فلسطين بحدودها الطبيعية المعروفة.. إذ يثبت التاريخ أن القبائل اليهودية انقسمت على نفسها بعد وفاة الملك سليمان وتكونت حوالى سنة ٩٣٠ قبل الميلاد دولتان فى فلسطين هما: دولة يهودا Judée فى الجنوب، ودولة إسرائيل فى الشمال، وإن هاتين الدولتين كثيرا ما اشتبكتا فى حروب طاحنة..

إزالة الحكم اليهودى

كانت فلسطين ككل المناطق فى العالم المعروف حينذاك.. كانت تتحمل حروب الكر والفر، التى كانت تقوم بها الشعوب والقبائل فى تلك الفترة المضطربة من تاريخ الإنسانية.

فاحتل الآشوريون دولة إسرائيل سنة ٩١٥ ولما تعمَّر أكثر من ١٥ سنة.. ثم احتل البابليون ـ وهم عرب ـ دولة يهوذا وشردوا كل من كان يسكنها من اليهود وأخذوهم أسرى إلى بابل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد.. وبذلك تكون دولة يهوذا التى لم تكن تحتل إلا جزءا ضئيلا من جنوب فلسطين لم تعمر سوى ١٥١ سنة..

(١) المصدر السابق.

ويثبت التاريخ أنه بعد أن شرد نبوخد نصر Nabuchodonosor الإمبراطور البابلى الشعب اليهودى لم يبق أى أثر لحكم يهودى أو لسكان يهود فى فلسطين ما بين ٥٨٦ و١٦٧قبل الميلاد أى لمدة ٤١٩ سنة متتالية، وقعت فيها فلسطين تحت حكم العرب النبطيين والسوريين.. ولم يظهر أى أثر لليهود كأفراد فى فلسطين، إلا بعد أن هزم الفرس البابليين، وحرروا اليهود من الأسر البابلى، وسمحوا لهم بالرجوع إلى فلسطين ولكنهم لم يحكموها.

آخر حكم يهودى فى فلسطين

وبعد ذلك سقطت فلسطين تحت حكم الإغريق بقيادة الإسكندر الأكبر، وبعدهم احتلها السوريون (٢٧٩ - ٣٠٠٠) والمصريون..(٢٧٩ - ٢٠٣) فالرومان،.. إلى أن ثارت بعض القبائل اليهودية بزعامة ماتاتيا ويهوذا ماكابى (١٦٩) اللذين تغلبا على الملك السورى انطيوكو الرابع.

فأصبح جزء من فلسطين تحت الحكم اليهودى بقيادة جوناطاس وسيمون ما بين ٦٣ قبل الميلاد و٦٧ بعد الميلاد.. ولم تدم هذه الزعامة اليهودية على جزء ضئيل من فلسطين إلا ١٣٠ سنة..

.. وأخيراً حطم القائد الرومانى تيتو أورشليم وحطم المعبد اليهودى الذى لم يبق منه إلا بعض من جدرانه أو ما يسمى « بحائط المبكى ».. وكان ذلك فى سنة ٧٠ ميلادية... ومنذ ذلك الحين انمحى كل أثر للحكم اليهودى فى فلسطين « ولم يبق أثر لأى يهودى لا فى القدس ولا فى فلسطين عامة » كما تقول مراجع التاريخ.

حقائق التاريخ[1]

تلك هى الحقبات التاريخية المتقطعة التى حكم اليهود فيها فلسطين.. ولو قمنا بعملية جمع لهذه الفترات المتقطعة المتباينة لوصلنا إلى النتيجة الآتية:

أ ـ سلطة يهودية فى أجزاء من فلسطين أثناء حكم داوود وابنه سليمان وهى الفترة الوحيدة التى ظهرت فيها سلطة يهودية مستقرة، امتدت من سنة ١٠١٠ إلى سنة ٩٣٠ أى لمدة ٨٠ سنة متتالية.

(١) المصدر السابق.

ب ـ فترات متقطعة من التاريخ حكم فيها بعض الزعماء اليهود بعض المناطق من فلسطين، وهى:

ـ حكم ساوول ملك اليهود الأول ٤٠ سنة

ـ دولتا إسرائيل ويهوذا ١٥١ سنة.

ـ حكم جوناطاس وسيمون ١٣٠ سنة. الجملة: ٣٢١ سنة.

وهكذا ينتهى بنا هذا السرد السريع للتقلبات التاريخية التى عاشتها فلسطين إلى الحقائق التاريخية التالية:

أولا ـ إن أرض فلسطين هى أرض عربية « أرض بنى كنعان » منذ فجر التاريخ.

ثانيا ـ إن القبائل اليهودية لم تظهر على أرض فلسطين إلا سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد أى ٤٠٠٠ سنة بعد ظهور العرب؛ إذ يُرجع بعض المؤرخين ظهور الكنعانيين إلى سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد.

ثالثا ـ إن ظهور اليهود على أرض فلسطين لأول مرة فى التاريخ لم يأت إلا ٦٠٠ سنة بعد ميلاد سيدنا إبراهيم، حيث إنه ولد حوالى سنة ٢٠٠٠ ولم يظهر اليهود على أرض فلسطين لأول مرة إلا سنة ١٤٠٠ بقيادة يوشع بعد أن تخلى عن قيادتهم النبى موسى.

رابعا ـ إن القبائل اليهودية لم تكوّن قط ما يمكن أن يسمى بدولة يهودية إلا فى عهد داوود وابنه سليمان، ولم يدم حكمهما إلا ٨٠ سنة، وهى الفترة الوحيدة التى ظهرت فيها سلطة يهودية مستقرة.

خامسا ـ إن اليهود لم يحكموا إلا أجزاء من فلسطين وفى فترات متقطعة ومتباينة، وإن هذه الفترات المتقطعة والمتباينة لم تشكل إلا ٤٠١ سنة عبر ٤٠٠٠ سنة اعتباراً من مولد سيدنا إبراهيم عليه السلام.

سادسا ـ إن التاريخ لم يسجل قط خلو فلسطين من سكانها العرب أثناء التقلبات التاريخية والحروب التى دارت على أرضها.. وإنهم لم يغادروا بلادهم أثناء الاحتلال الأجنبى التى مرت بها فلسطين كما كانت تمر كل المناطق المعمورة من الأرض فى تلك الحقبات التاريخية.

سابعا ـ خلافاً لما سجله التاريخ لسكان فلسطين العرب الذين لم يخل منهم

وطنهم قط فإنه يسجل خلو فلسطين من كل أثر يهودى حكماً وسكاناً طيلة ٥٠ سنة حكمها فيها البابليون..

... وإنه بعد أن هزم الفرس البابليين وأرجعوا اليهود إلى فلسطين شردهم مرة أخرى القائد الرومانى تيتو سنة ٧٠ ميلادية حتى « لم يبق لهم أى أثر بعد ذلك لا فى القدس ولاغيرها من مناطق فلسطين ..».

وإن الأفراد من اليهود الذين رجعوا إلى فلسطين خلال الأحد عشر قرناً التالية، وبصورة خاصة بعد الفتح الإسلامى لفلسطين حيث نشر عليهم الحكم الإسلامى عدله وحمايته وحقق لهم حرية ممارسة شريعتهم.. حتى فى هذه الظروف من الأمن والسلام لم يتواجد فى فلسطين إلا أفراد قلائل من اليهود...

يقول بنجامين دى طوليدا Benjamin de Toleda، وهو يهودى زار القدس بين سنة ١١٧٠ وسنة ١١٧١ أى أحد عشر قرناً بعد أن شرد تيتو اليهود عن فلسطين.. إنه « لم يجد سوى ١٤٤٠ يهودياً فى كامل فلسطين».

وهكذا يتضح جلياً أن سكان فلسطين العرب عمروها وواكبوا تقلبات تاريخها طيلة ٦٠٠٠ سنة (١) من تاريخ الإنسانية. وإنهم حكموها كنعانيين أو فلسطينيين أو آشوريين أو بابليين أو نبطيين أو مصريين طيلة هذه المدة ما عدا فترات الحكم المسلط بالسلاح لفترات من التاريخ كالحكم الفارسى والإغريقى والرومانى واليهودى.

ويقول الكاتب الأمريكى اليهودى موسيه مينوحين فى كتابه « انحلال اليهودية فى عصرنا »: « منذ أكثر من أربعة آلاف سنة كما تروى قصص التوراة، عاش الكنعانيون فى فلسطين. إن بعض عرب فلسطين الذين يعيشون الآن كلاجئين مشردين فى الخيام والأكواخ فى معسكرات خارج حدود وطنهم هم من نسل هؤلاء الكنعانيين القدامى الذين كانوا مزيجا من الساميين والآريين والحيثيين. لقد بنى الكنعانيون المدن والقصور واستعملوا الجياد والعربات وأقاموا المعابد المزينة بالأصنام. لقد عبدوا الطبيعة وكان أكبر إلهتهم إله العاصفة خالق البشرية. كانت بيوتهم مبنية بشكل جيد وبصورة فريدة فى ذلك الزمن.

(١) ـ جاء فى الموسوعة سلفاط Salvat أن «فلسطين تكون منذ فجر التاريخ الجسر الطبيعى بين آسيا وافريقيا، وأن أول من سكنها هم قبائل سامية جاءتها من شبه الجزيرة العربية »، وأول القبائل السامية (الكنعانيين) التى تحدث عنها التاريخ ظهرت ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد».

« لقد عاصر الكنعانيون حروب الغزو التى شنها الإسرائيليون الأوائل وشهدوا الفاتحين يربحون ويخسرون فلسطين مرتين.. وأثناء ذلك كان الكنعانيون يواصلون أعمالهم الخاصة كفلاحين وعمال وعبيد. واعتنق قسم منهم اليهودية وقسم المسيحية، وحين خرج محمد (ﷺ) من الجزيرة ليفتح العالم ويحول الجميع إلى مسلمين، اعتنق أغلب سكان فلسطين الإسلام وشكلوا منذ بداية القرن السابع الميلادى شعباً عربياً واحداً متحداً، ولهذا نرى اليوم عرب فلسطين يشكلون الغالبية الساحقة من السكان منذ تلك الأيام ».

فلسطين لم تكن قط وطناً قومياً يهودياً

وبالإضافة إلى هذه الحقائق المجردة المثبتة بالحوادث والأرقام التاريخية، فإن سجل التاريخ يبرز لنا جانباً آخر يبرهن على أن فلسطين لم تكن وطناً قومياً لليهود وإنهم لم يُكوِّنوا فيها قط أمة بالمفهوم العلمى.

يفسر علماء الاجتماع كلمة « أمة » بأنها: « مجموعة من السكان يقطنون وطناً مشتركاً تجمعهم فيه وحدة المصدر ووحدة اللغة ووحدة العادات ووحدة التقاليد »... ويؤكد المؤرخون أن الأكاديين ـ كانوا يسيطرون على الإمبراطورية الآشورية، وأن الفضل فى إحداث المدنية الآشورية يرجع إليهم.. وأن اللغة العبرية هى نتيجة اندماج اللهجات التى كان يتكلمها الشعب اليهودى فى اللغة الأكادية.. وهكذا ولدت اللغة العبرية القديمة..

.. كما ولدت بعدها لغة اليديش Yiddisch وهى خليط من اللغة الألمانية القديمة واللغة العبرية. وهى اللغة التى يتكلمها اليهود الأشكنازيم المنحدرين من قبائل « القازار » التى اعتنقت الديانة اليهودية فى القرن الثامن الميلادى، والتى لا تمت بأية صلة إلى فلسطين تاريخيا ولا إلى السامية عنصرياً. والأشكنازيم هم أحفاد اليهود المنحدرين من روسيا وبولونيا وكل أقطار أوروبا الوسطى والأمريكتين.. وهم اليهود الذين يحكمون فلسطين اليوم ويضطهدون فيها الساميين من العرب واليهود باسم « حق الساميين » فى حكم وطنهم فلسطين!...

ويثبت التاريخ أنه فى القرن الخامس قبل الميلاد أزاحت اللغة الأرامية اللغة العبرية من مناطقها فى فلسطين ولم يبق لها وجود.. وإن اللغة الأرامية كانت اللغة السائدة فى فلسطين فى عهد السيد المسيح عليه السلام، وهى اللغة التى استعملها يسوع بن مريم.

.. وأن الكتب الثقافية اليهودية كتبت أغلبها باللغة الأرامية ومنها الكتب التى ألفها الحاخام اسدراس الذى ينحدر من سلالة هارون وكذلك كتاب النبى دنيال..

.. وأن وجود اللغة العبرية فى حياة الشعب اليهودى نفسه يرجع إلى القرن العاشر الميلادى، وأن هذه اللغة لم تجد جوا تزدهر فيه إلا فى إسبانيا تحت الحكم الإسلامى العربى، حيث اشتهر الفيلسوف ابن ميمون الذى ولد فى قرطبة وألف كتباً عديدة باللغتين العربية والعبرية.

وهكذا يتهدم الركن الأساسى الذى بنت عليه الصهيونية « الحق التاريخى » لليهود فى فلسطين بما سردناه من معطيات تاريخية تثبت أن فلسطين لم تكن وطنا قوميا لليهود.

أسطورة العهد الإلهى[1]

أما الركن الثانى الذى أقامت عليه الصهيونية حجتها فى « الحق التاريخى » لليهود فى فلسطين هى أسطورة « العهد » الذى يزعم اليهود أن السماء أعطته لليهودى الأول ـ أى سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ وهو ما تعتبره الصهيونية كما يقول دافيد بن غريون: « مصدرا عميقاً عاطفياً دائماً « يرجع » إلى قصة اليهودى الأول الذى أبلغته السماء: أن سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أراضى بنى كنعان ملكاً خالدا لك ».

فلنبحث حقيقة وقيمة هذا « العهد » الربانى على ضوء الحقيقة القرآنية أولا.. ثم على ضوء الحقيقة التوراتية والإنجيلية كما يفسرها علمياً الأستاذ أرثر غليوم ـ وغيره ـ أستاذ دراسات العهد القديم بجامعة لندن وأستاذ اللغات الشرقية بجامعة درهام سابقاً، ومؤلف لعدة كتب عن العهد القديم والدراسات الإسلامية.

نظرة الإسلام

يشرح العلامة العربى الشهير الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى « ظلال القرآن » (الجزء الأول ص ١٥١ ـ ١٥٤) فيقول: من حقائق الخطوط الأساسية فى التطور الإسلامى أن العقيدة تقوم حينئذ على قرابة الإيمان لا على قرابة الدم والجنس..

(١) المصدر السابق.

والإسلام بمعنى إسلام الوجه لله وحده سبحانه كانت هى الرسالة الأولى، وهى الرسالة الأخيرة.. هكذا اعتقد إبراهيم وهكذا اعتقد بعده اسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط إلى أن أسلموا هذه العقيدة ذاتها إلى موسى وعيسى.. ثم آلت أخيراً إلى ورثة إبراهيم من المسلمين.. ومن البديهى أن من آمن بهذه العقيدة ورعاها فى أى جيل ومن أى قبيل فهو أحق بها من الصلب وأقرباء العصب.. فالدين دين الله وليس بين الله وبين أحد من عباده نسب ولاصهر.. ومن استقام على هذه العقيدة الواحدة فهو وريث عهودها وبشارتها ومن فسق عنها ورغب بنفسه عن ملة ابراهيم فقد فسق عن عهد الله وقد فقد وراثته لهذا العهد وبشارته.

تقول الآية الكريمة التى يشير إليها الأستاذ سيد قطب: « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » (البقرة الآية ١٢٣).

« لقد اصطفى الله إبراهيم على الناس « إماماً » لأنه « وفى » ولأنه « أتم » ما أمره به فاستحق الإمامة.. وعندما سأل ابراهيمُ ربَّه « ومن ذريتى؟ » أى أن تكون الإمامة لأبنائه وأحفاده جاءه الرد الربانى القاطع: « لا ينال عهدى الظالمين ». وهذا العهد الذى لا التواء فيه ولا غموض إنما هو عهد قاطع فى تنحية اليهود عن القيادة والإمامة بما ظلموا وبما فسقوا وبما عتوا عن أمر ربهم وبما انحرفوا عن عقيدة جدهم إبراهيم ».

ويقول فى موضع آخر: « إن أهل الكتاب من اليهود يرجعون بأصولهم إلى إبراهيم عن طريق إسحاق.. وان قريشا لترجع بأصولها كذلك إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل عليهما السلام »

ومن المعلوم والثابت فى القرآن وحتى فى أسفار بنى إسرائيل أنفسهم أن أسباط اليهود التى كان يقودها النبى موسى بأمر من ربه إلى الأرض المقدسة عتت عن أمر ربها حين غاب عنها موسى أربعين ليلة فصاغ لهم السامرى عجلا من الذهب حتى عكفوا عليه.. ونسوا ربهم وعتوا عن أمره.

ومن الثابت فى أسفار بنى إسرائيل أنه عندما رجع النبى موسى « ليجد قومه عاكفين على عجل

من الذهب » اشتد غضبه وحطم الألواح وتخلى عن قيادة الأسباط الإسرائيلية وكلف يوشع josoe بقيادتهم.. ولم يعبر معهم نهر الأردن ولم يدخل فلسطين وصاح صيحته الشهيرة: « لقد عتت إسرائيل عن أمر ربها فلتكن مبعثرة فى رياح السماء الأربعة (أى الجهات الأربع من الأرض) وبذلك ينفرد النبى موسى عن بقية بنى إسرائيل باعتباره ليس بعبرانى؛ أى إنه الوحيد الذى لم يعبر نهر الأردن مع الذين عبروه من اليهود بقيادة يوشع ودخلوا أرض كنعان.

نظرة التوراة والإنجيل

هذه نظرة الدين كما وردت فى القرآن الكريم وفى أسفار بنى إسرائيل فلننظر إلى ما يقوله العلم المجرد على لسان الأستاذ آرثر غليوم ـ وغيره ـ على ضوء الحقيقة التوراتية والإنجيلية.

يقول الأستاذ غليوم أستاذ دراسات العهد القديم البريطانى. « قد يتراءى لقارىء سطحى أن وعداً إلهياً صدر قبل أربعة آلاف سنة وكرر مرارا بإعطاء أرض لشعب معين يجعل ذلك الشعب مالكاً لتلك البلاد باسم الحق المقدس.. فإذا كان هذا هو سند اليهود فى فلسطين فمن الواجب تفنيده تفنيداً دقيقاً، لذلك أرى بحث بعض النصوص المعروفة لدى اليهود المتدينين والتى كان لها أثرها العميق فى كثير من الجماعات المسيحية لا سيما فى أمريكا ».

والنقط التى تهمنا هى:

أولا ـ لمن منحت هذه الوعود؟..

ثانيا ـ ما حدود الأرض الموعودة؟..

ثالثا ـ هل كان الوعد مطلقاً دون قيد ولا شرط أو بقيد وشروط؟.

لمن أعطيت هذه الأرض؟

إن أول وعد بإعطاء فلسطين لذرية إبراهيم كان قرب نابلس: « وظهر الرب لإبراهيم وقال: لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له ». (سفر التكوين إصحاح ٧: ١٢).

ومشيراً إلى ما جاء فى سفر التكوين ٢٨: ١٣ ـ ١٥ من عبارات تضمنت الوعد بالأرض يقول:

«الاعتقاد الشائع أن هذه الوعود قطعت لليهود دون سواهم ولكن ليس ذلك ما تقوله التوراة فإن لكلمة ذريتك تشمل العرب أيضاً من مسلمين ومسيحيين من ذرية

إبراهيم من أبناء إسماعيل».

ومن الملاحظ هنا الاتفاق التام بين الأستاذ غليوم الذى يتفق فى الرأى مع الأستاذ سيد قطب الذى يرى الرأى نفسه حيث يقول: «أن أهل الكتاب من اليهود ليرجعون بأصولهم إلى إبراهيم عن طريق إسحاق ـ عليهما السلام وأن قريشاً لترجع بأصولها كذلك إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل ـ عليهما السلام».

ويضيف الأستاذ غليوم «ولقد اشتهر إسماعيل بانتساب عدد كبير من القبائل العربية إليه، وسفر التكوين يذكر أن كثيراً من القبائل العربية إليه، وسفر التكوين يذكر أن كثيراً من القبائل العربية الشمالية تنتسب إلى إبراهيم عن طريق ابنه إسماعيل ولا يمكن القول بأن كلمات سفر التكوين ٢١: ١٠ ـ ١٢ فسخت حق أبناء إسماعيل بالوراثة.. يضاف إلى هذا أن الختان الذى عقد عليه العهد كان ختان إسماعيل ولم يكن إسحاق قد ولد بعد، ويضيف: «نرى من هذه الدراسة االقصيرة للوعد المقدس الذى أعطى لأبناء إبراهيم أنه يشمل بالضرورة ذرارى اسماعيل».

حدود الأرض الموعودة

ويقول الأستاذ غليوم بخصوص حدود الأرض الموعودة: «والمسألة الثانية هى مدى حدود الأرض الموعودة المشار إليها آنفاً بإشارة غامضة إلى: «هذه الأرض» وتبدأ هذه الأرض من نابلس لتشمل كل الأراضى الممتدة بين مصر والفرات.. والآية الثالثة تتكلم عن انتشار أولاد إبراهيم فى الجهات الأربع، ومن المهم أن نوضح أن هذا الوعد بالأراضى الممتدة بين النيل والفرات أعطى قبل مولد كل من إسماعيل وإسحاق، وهذا يعنى أنه يجب ألا تكون خالصة للإسرائيليين من دون الناس. وإذا استثنينا الفترة القصيرة التى اعترف فيها بسيطرة سليمان فإن هذه الأرض كانت دوماً ملكاً للعرب».

هل الوعد قطعى؟...

يقول الأستاذ غليوم: أن كلمة (أولام) العبرية لا تعنى الديمومة ولا الأبدية ولكنها تعنى «زمناً طويلاً» ويشير إلى سوء الفهم الذى أحدثته النبوءات العبرية فيقول: «فإنه حتى لو لم تكن لدينا نصوص نبوية تهدينا إلى الحق لكان من البين أن وعود امتلاك أرض كنعان لم تكن مطلقة دون قيد أو شرط، ذلك أن الله عاهد بنى إسرائيل على الإخلاص فى العبادة وعلى

التعاون فيما بينهم وإتباع الحق وأنذرهم إن هم فسقوا عن أمره أن ينتظروا مصيراً رهيباً محتوماً » ويسرد الآية ٢٨ من سفر التثنية : « ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص على أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التى أنا أوصيك بها تأتى عليك جميع هذه اللعنات وتدركك : ملعوناً تكون فى المدينة ، وملعوناً تكون فى الحقل ، ويجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك وتكون قلقاً فى جميع ممالك الأرض ... »

وفى هذا الصدد يلاحظ اتفاق الآيات القرآنية العديدة مع هذه المعانى نذكر منها الآية .. « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ». (البقرة ـ ٦١)

ولقد جاء فى مقدمة لكتاب ألفه المربيرغر بعنوان « هل إسرائيل تحقيق لنبوءة توراتية قول الدكتور ويليم شتايتسبرغ : « ليس هناك أساس فى العهد القديم أو الجديد يدعم الإدعاء الصهيونى بأن دولة يهودية معاصرة فى فلسطين مبررة أو مطلوبة فى الإنجيل أو حسب النبوءة الإنجيلية . إن وعود النبوءة الإنجيلية تنطبق على البشرية جمعاء وليس على اليهود أو الصهيونيين ، وإن تعابير مثل « النصر » أو « الخلاص » فى معانيها الإنجيلية الحقيقية تعنى مكتسبات دينية وروحية وليس اجتياح أو تحطيم عدو سياسى . وحتى دون العبارات المحددة فى العهد الجديد بشأن الطبيعة الدينية والروحية للوعود لإسرائيل ، فإن العهد القديم للبشرية جمعاء وليس إلى « إسرائيل سياسية » تحتل أرضاً وبيوتاً تخص شعباً آخر ».

ويؤكد الدكتور آرثر غليوم فى (« إسرائيل والإنجيل » من كتاب « إسرائيل حسب النصوص المقدسة ») « إن الوعود الإلهية مهما كان من أمرها قد ألغيت بسبب جحود اليهود . وإن النبوءة بالعودة قد تحققت عندما عاد اليهود إلى يهوذا بعد الأسر (البابلى) ورفعوا جدران القدس وأعادوا بناء الهيكل . ولا يوجد فى الكتب المقدسة وعد بعودة ثانية ، وهكذا يتناقض قيام إسرائيل « كعودة بعد ألفى عام » مع وعد التوراة الذى يستندون إليه . ولهذا السبب يعتبر يهود « المرشيم » فى القدس أن إنشاء إسرائيل يخالف معتقداتهم .. إن النصوص المقدسة لا تتكلم عن إسرائيل كوحدة جغرافية أو عنصرية أو سياسية بل كمجموعة من المؤمنين ».

ثم يستخلص الأستاذ غليوم قائلا : « من هذا يتضح بجلاء أن الوعود الإلهية قد

نسخها شعور قومي صابئ خارج عن كل دين، ولقد رأى الأنبياء (اليهود) في أسر الآشوريين لأهل سمارايا والبابليين لأهل يهوذا مظهراً من مظاهر العدالة الإلهية من شعب عاص أناني »..

وهكذا يتهدم الركن الثاني.. ركن « العهد الإلهي » الذي بنت عليه الصهيونية « الحق التاريخي » لليهود في اغتصاب فلسطين وتشريد سكانها.. وتبقى إسرائيل أمام الضمير العالمي عامة والضمير اليهودي والضمير المسيحي خاصة دولة معتدية غاصبة لأرض لا حق لها في حكمها.. إلا حق الغاب وقوة القهر الغاشمة، التي أنشئت هيئة الأمم المتحدة لتضع حدا لها.

obeikandl.com

الحركة الصهيونية

عرفنا من الدراسات السابقة أن الصهيونيين ليسوا ساميين، وليسوا من بنى إسرائيل ولاتربطهم بفلسطين أية رابطة من التاريخ. ولاتقوم دعواهم على وحدة الجنس. فهم من أجناس مختلفة. وهى لا تقوم إلا على وحدة العقيدة الدينية ـ ولو فى ظاهر الأمر ـ وإنما الحركة الصهيونية حركة استعمار واستغلال وتسلط. اتخذ دعاتها ذرائعها من مركز اليهود الخاص فى البلاد الأوروبية. أذكت نارها مشاعر الكراهية والحقد والتعصب الذميم.

يرجع العهد بالصهيونية، كحركة سياسية إلى القرن التاسع عشر، وقبل هذا القرن كانت عقيدة تتمثل بعاطفة حنين وشوق الى الوطن المفقود « المزعوم».

ولكلمة (صهيون) ثلاث معان فى أذهان اليهود، فمنهم من يفسرها بما جاء فى العهد القديم بأنها مدينة الملك الأعظم أى مدينة الإله ملك إسرائيل. ومنهم من يرجعها إلى المعنى الذى جاءت به التوراة: « وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم الى اليبوسيين سكان الأرض وأخذ الملك حصن المدينة، حصن صهيون وأقام داوود فى الحصن وسماه مدينة داوود » والفريق الثالث يعطى لكلمة (صهيون) معناها الجغرافى العام باعتبارها اسم جبل يقع إلى الشرق من مدينة القدس أورشليم ..).

يقول هرتزل «الصهيونية هى حركة الشعب اليهودى فى طريقه الى فلسطين، وأن العودة الى فلسطين يجب أن تسبقها العودة إلى الدين اليهودى، وقد كانت هذه الحركة فى مبدأ قيامها، ترمى إلى إيجاد أرض لليهود تجمعهم فيها، ولم يعلنوا فى أول الأمر فلسطين بالذات. فقد أنشأ البارون هرش Hirsch بأموال باهظة ثلاثين مستعمرة زراعية يهودية فى الأرجنتين (سنة ١٨٩٢). وفى سنة ١٨٩٦ أصدر الدكتور هرزل المجرى كتابا سماه (الدولة اليهودية Etat Juif) كان له صدى عظيم وأثار فى الأوساط اليهودية من سكان أوربا الشرقية حملة واسعة النطاق، ولكنها لم تتعد حدود الدعاية الكلامية.

وعندما عقد المؤتمر الصهيونى الأول بمدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧، اقترح هرزل أن تكون فلسطين هى الوطن المعقود عليه الآمال. وقال كلمته المشهورة (نأبى أن نتسلل خفية

كالمهربين وإنما نريد أن نشعر أننا سائرون إلى وطننا. ومقيمون فى أرضنا ومنازلنا) وقد كانوا يحاولون أن يجدوا لهم موطنا فى إحدى بلاد العالم، وفعلا سعوا لامتلاك قطعة فى إحدى بلاد الدولة العثمانية ففشلوا. وحاولوا أن يجدوا لهم مأوى فى إحدى ممتلكات الإمبراطورية البريطانية فلم تفلح محاولتهم. وعندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وتغلغل النفوذ البريطانى فى البلاد العربية، أعلنت بريطانيا أنها ستعمل على تحقيق الحلم الصهيونى بما سمته وعد بلفور كما سيجئ بعد.